

القضاء والقدر

الدرس 8

أهداف الدرس

1. أَنْ أَتَعَرَّفَ مَعْنَى الْقَضَاءِ، وَمَا يُكْتَبُ بِالْقَضَاءِ.
2. أَنْ أَدْرِكَ أَنَّ الْعِبْرَةَ فِي الْأَعْمَالِ بِخَوَاتِيمِهَا.
3. أَنْ أَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَاعِلٌ مُخْتَارٌ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

تمهيد

مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ الْعُظْمَى الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؛ لَكِنْ مَا أَكْثَرَ مَا يُسَاءُ فَهْمُ مَعْنَاهُ، فَيُظَنُّ أَنَّ السَّعِيدَ سَعِيدٌ بِالْقَدَرِ، وَأَنَّ الشَّقِيَّ شَقِيٌّ بِالْقَدَرِ، وَأَنَّهُ لَا أَثَرَ لِاخْتِيَارِ الْعَبْدِ وَلَا لِعَمَلِهِ وَمَا يُخْتَمُ عَلَيْهِ بِهِ فِي ذَلِكَ.

فَمَا مَعْنَى الْقَضَاءِ؟ وَمَاذَا يُكْتَبُ بِالْقَضَاءِ؟ وَمَا عِلَاقَةُ الْقَضَاءِ بِخَوَاتِيمِ الْعَمَلِ؟

الحديث

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتِبَ رِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ

أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا».

[صحيح البخاري ومسلم]

تَرْجَمَةُ الرَّأْيِ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ.

الْفَهْمُ

الشرح:

حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ: حَتَّى يَقْرُبَ أَجَلُهُ.
يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ: يُخْتَمُ لَهُ.

استخلاص المضامين:

1. أُحَدِّدُ مِنَ الْحَدِيثِ ثُبُوتَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.
2. أُبْرِزُ مَا الَّذِي يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ بَعْدَ خَلْقِهِ أَطْوَارًا؟
3. أُبَيِّنُ عِلَاقَةَ الْمَكْتُوبِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ.

التَّحْلِيلُ

يَشْتَمِلُ هَذَا الدَّرْسُ عَلَى مَا يَأْتِي:

أَوَّلًا: الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ

فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ،

وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»، دَلِيلٌ عَلَى إِنْبَاتِ الْقَدْرِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْوَاقِعَاتِ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، نَفْعُهَا وَضَرُّهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]، فَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ تَعَالَى فِي حُكْمِهِ، يَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ مَا يَشَاءُ.

قَالَ الْإِمَامُ السَّمْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَبِيلُ مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ التَّوْقِيفُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ دُونَ مَحْضِ الْقِيَاسِ وَالْعَقْلِ؛ فَمَنْ عَدَلَ عَنِ التَّوْقِيفِ فِيهِ ضَلَّ وَتَاهُ فِي بَحَارِ الْحَيْرَةِ، وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ الْعِيِّ وَلَا مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ، لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى، اخْتَصَّ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ بِهِ، وَضَرَبَ دُونَهُ الْأُسْتَارَ، وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُولِ الْخَلْقِ وَمَعَارِفِهِمْ، لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ، فَلَمْ يَعْلَمْهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ. [فَتْحُ الْبَارِي]

وَلِهَذَا الْخَفَاءُ ثَبَتَتْ الْأَحَادِيثُ بِالنَّهْيِ عَنْ تَرْكِ الْعَمَلِ اتِّكَالًا عَلَى مَا سَبَقَ مِنَ الْقَدْرِ، مُوجِبَةً الْعَمَلَ بِالتَّكَالِيفِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْأَمْرُ لِأَنَّهُ ظَاهِرٌ، نَاهِيَةٌ عَنْ تَرْكِهَا اتِّكَالًا عَلَى سَابِقِ الْقَدْرِ، لِأَنَّهُ غَيْبٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

ثَانِيًا: مَا الَّذِي يُكْتَبُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ؟

يُكْتَبُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِقَضَاءِ اللَّهِ: ذَلِكَ الْقَدْرُ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يُوجِدَ الْعَالَمَ، وَأَظْهَرَهُ لِلْمَلِكِ وَأَمَرَهُ بِكِتَابَتِهِ وَإِنْفَادِهِ عِنْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِي الْجَنِينِ؛ وَهُوَ ذَلِكَ الْقَدْرُ الْخَاصُّ بِكُلِّ فَرْدٍ، وَخُلَاصَتُهُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْأَرْبَعُ:

أ- الرِّزْقُ؛ وَهُوَ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْإِنْسَانُ. وَكِتَابَتُهُ: تَقْدِيرُهُ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، وَيُسَمَّى رِزْقًا وَإِنْ اِكْتَسَبَهُ مِنْ طَرِيقِ الْحَرَامِ، لَكِنَّهُ يُحَاسَبُ عَلَيْهِ.

ب- الأجل؛ وهو مدة حياة الإنسان في الدنيا، وطوله أو قصره بتقدير الله تعالى وليس لصحة البدن أو علته.

ج- العمل؛ وهو الأقوال والأفعال والإعتقادات والتصورات المكتسبة للإنسان. وكتابتها: وصفه والحكم عليه أنه صالح أو فاسد.

د- الشقاوة أو السعادة؛ والمراد بهما: الإسلام والكفر. وهما الطريقان إلى الجنة والنار. [جامع العلوم والحكم بتصرف]

ثالثاً: الأعمال بالخواص

على الإنسان أن لا يأمن سوء الخاتمة مهما عمل، ولو اتفقت السنة الناس على مدحه طول عمره، فهو مع الإحسان خائف وجل؛ فالسعيد من جمع بين حسن العمل وإساءة الظن بنفسه خوفاً، وإحسان الظن بربه رجاء. قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً اتُواؤُا فَلَوْ بُدِعْمُ وَجِلَةٌ﴾. [المؤمنون: 61]

ومن لطف الله سبحانه وسعة رحمته:

• أن تبدل الحال من صلاح إلى فساد قد يقع لقلّة من الناس، لا أنه غالب عليهم؛ فانقلاب الناس من الشر إلى الخير كثير، وانقلابهم من الخير إلى الشر نادر قليل.

• وأن سوء الخاتمة لا يحصل لمن استقام باطنه وصلح ظاهره، وإنما يقع لمن في نفسه فساد أو ارتياب أو رياء، أو أصر على الكبائر، واجترأ على المحارم، كما تبينه الرواية الأخرى للحديث: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار». [البخاري ومسلم]

وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ

- عَدَمُ الرُّكُونِ إِلَى الْأَسْبَابِ مَعَ وُجُوبِ الْأَخْذِ بِهَا، وَالتَّغْوِيلُ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ.
- الْحَثُّ عَلَى الْقَنَاعَةِ، فَالرِّزْقُ قَدْ سَبَقَ تَقْدِيرُهُ وَشُرِعَ اكْتِسَابُهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أُمِرْنَا بِالْأَخْذِ بِهَا.
- لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَغْتَرَّ بِظَاهِرِ الْحَالِ؛ لِجَهَالَةِ الْعَاقِبَةِ. وَمِنْ ثَمَّ شُرِعَ الدُّعَاءُ بِالنَّبَاتِ عَلَى الدِّينِ وَحُسْنِ الْخَاتِمَةِ.

التَّقْوِيمُ

1. مَا الْمُرَادُ بِكِتَابَةِ الرِّزْقِ وَالْأَجَلِ فِي الْحَدِيثِ؟
2. هَلْ لِلْعَقْلِ مَدْخَلٌ فِي الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟
3. هَلْ يَجُوزُ تَرْكُ الْعَمَلِ اتِّكَالاً عَلَى سَابِقِ الْقَدَرِ؟

الِاسْتِثْمَارُ

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ عُوْدٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَانْكَسَ وَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَلَا نَتَكَلَّى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، اْعْمَلُوا فِكْلٌ مُيَسَّرٌ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِأَمَّا مَرَّاعِجِي وَاقْفِي وَصَدَّقِي بِالْخُسْبَىٰ قَسْنَيْسِرُكُ، لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَرَبِخَلٍ وَاسْتَغْبِي وَكَتَبَ بِالْخُسْبَىٰ قَسْنَيْسِرُكُ، لِلْعُسْرَىٰ﴾»

[الليل: 5 إلى 10] «[صحيح البخاري].»

1. مَاذَا نَسْتَفِيدُ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعْمَلُوا فِكُلِّ مُيَسَّرٍ»؟
2. هَلْ يُمَكِّنُ الْإِحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ عَلَى تَرْكِ الْعَمَلِ؟

الْإِعْدَادُ الْقَبْلِيُّ

- أَحْفَظْ حَدِيثَ الدَّرْسِ الْمُقْبِلِ، وَأُنْجِزْ مَا يَلِي:
1. أَبْحَثْ عَنْ تَرْجَمَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
 2. أَحَدِّدْ مَعْنَى «الرَّدِّ» فِي الْحَدِيثِ.